

أوضاع على

شكل العاليم بالغرب

د. محمد عابد الجازري

دار النشر المغربية
الدار البيضاء

1985

الطبعة الأولى 1973

مقدمة

ثمة في المغرب الراهن مشكل مزمن ، مشكل يحتل الصدارة ضمن مجموعة المشاكل الأخرى التي لم تعرف بعد طرقها نحو المعالجة الجدية والحل الصحيح .. انه مشكل التعليم ، مشكل يعترف بخطورته وتفاقم ابعاده ، منذ الاعلان عن الاستقلال الى اليوم ، المغاربة جيئوا : آباء وأمهات وأبناء ، أساتذة ومعلمون وطلابا وتلاميذ ، حاكمين ومحكومين ، مسؤولين وغير مسؤولين ، مختصين في التربية والتعليم أو غير مختصين ..

قبل الكثير ، كتب الكثير عن هذا المشكل ، وعقدت حوله ندوات رسمية وغير رسمية ، فاقتصرت حلول كثيرة متنالية أو متزامنة ، وفى كل مرة كان التلاحم منها يلغى السابق أو يعدله ، أو يكلمه .. ومسح ذلك لم يزدد المشكل الا تعقيدا ، ولم تزدد ابعاده الا امتدادا وتشعبا : الطلاب والتلاميذ يضربون ، ويرفعون الاحتجاجات ، ويقدمون المطالب .. والمسؤولون يغضبون الطرف او لا ثم يتحركون ويقمعون ثانيا ، ثم يتهمون أخيرا ، فيليرون بعض المطالب ، المطالب التي تتطلب دراسة وقتا ، فيقال عنها ان الحكومة عاكفة على ايجاد الحلول لها .. وهكذا يبقى « المشكل » من غير حل ، ينتظر سنة أخرى لا ريب فيها ، ليتفجر الوضع من جديد ، ولتقدم المطالب من جديد ، ثم ليعلن عن الحلول الجزئية وحدتها ويفتني المشكل قائما كما كان او اكثر .. وهكذا دواليك !

ما هو هذا المشكل اذن ؟ ما حقيقته وما جوهره ؟ ما هي الكوامن

الخفيه التي تحركه من ذاته ، ومن وراء ستار ، ليت貌似 تارة في الاحتياج على قرار اتخذ ، يضيف جديداً أو يحذف قدماً ، وتارة أخرى في المطالبة بالغاء جديد وابقاء قديم ، أو العكس .. ما هي الابعاد العميقه لهذا المشكل المزمن الذي يطفى على حياتنا الاجتماعية والسياسية فيحركها ويدفع بها نحو هذه الوجهة او تلك .

لقد اتخاذ مشكل التعليم في بلادنا ، ومنذ الاعلان عن الاستقلال ، طابعا سياسيا وأضحا ، ليس فقط لانه يمس الشعب كله ، او لانه يقسم أحسن مطية طرح من على متنها تضليلا سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية ، بل ايضا لانه يعكس بالفعل اختيارات تخص هذه الميادين نفسها ، ويتضمن في جوهره ، ومن خلال تطوره ، ابعادا سياسية واجتماعية اثرت وتأثر وستؤثر — لا على الثقافة والتعليم فقط ، بل على مجموع المشكلات الأخرى على اختلاف انواعها ، وتفاوتها في الامانة والخطورة .

ان استمرار هذا المشكل ، وتفاقمه واستفحاله ، قد جعل التعليم في المغرب ، بعد سبعة عشر عاما من الاستقلال ، يفشل في مهمته ، ليس فقط لانه لم يستطع خلال هذه المدة الطويلة ان يزود البلاد بما تحتاجه من اطر في الميادين الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ، او على الاقل بما يخفف بشكل جدي من هذه الحاجيات، بل لانه كذلك لم يستطع ان يقدم لنفسه ما يحتاجه هو من معلمين وأساتذة .. ان التعليم في المغرب، وبعد سبعة عشر عاما من الاستقلال ، لم يستطع ان يكفى ذاته بداته ، ولا ان يسد بنفسه حاجاته ومتطلبات نموه ، على الرغم من الاعانات الأجنبية ، او بسبب من هذه الاعانات نفسها .. يكفي هذا دليلا ناطقا موجعا على فشله واختاته .. !

* * *

— 4 —

ثمة اذن مشكل مزمن في المغرب ، هو بلا نزاع مشكل التعليم ..
والمشاكل ، ايا كان نوعها ، ليست بنت ساعتها ، بل هي نتيجة عملية تطور
ونمو : نمو الاجزاء في اطار نمو الكل ، ونمو الكل من خلال نمو الاجزاء ..
معنى ذلك ان المشاكل ، ايا كانت ، لها تاريخ . ومن ثمة يفدو الفهم الصحيح
لها ائما يبدأ بفهم تاريخ مولدها ونشأتها ، وتتبع مراحل نموها وتطورها .

واثق ان المعطيات الاساسية لهذا المشكل يصعب فهمها ، ان
اقتصرنا على النظر اليه من خلال الصور التي يكشف فيها عن نفسه من
وقت لآخر ، فلا اضرابات الطلبة ، ولا رد فعل المسؤولين ولا النتائج
الهزيلة التي تسفر عنها الامتحانات ، ولا المستوى العام الاخذ في
الانخفاض ، لا شيء من ذلك يشكل المعطيات الاساسية ، الجوهرية
للمشكل . انها مظاهر ، مظاهر مهمة ولا شك ، ولكنها لا تعبر عن المشكل
تعبيرا كاملا ، لا تعكس الا جوانب منه ، جوانب جزئية سطحية في غالب
الاحوال .

ان المعطيات الاساسية ، الجوهرية ، التي يعاني منها تعليمنا الان ،
بل بلادنا وشعبنا ، ائما نقرؤها ، بوضوح ، من خلال تعرية جديدة لجذوره ،
وكتشف واضح عن الاطار الذي نشأ فيه ويترى يتحرك في حدوده . ولسننا
ندعى هنا انه سيكون بامكاننا القيام بهذه المهمة كاملة ، وانما ننظم فقط ،
من خلال هذه المحاولة التخطيطية الاولية ، الى رسم معالم الطريق التي تمكنا
من وضع المشكل وضعا صحيحا ، في اطاره الصحيح . وإذا ما وفقنا نحن
هذا فلأننا سنجد انفسنا لا امام حلول ممكنة ، بل امام حل وحيد .. اما باقى
«المحلول» فهو لا تعدو ان تكون مأزرق ممكنة ، بل محققة .. !

ما هي اذن الاسس التي قام عليها تعليمنا الحالي ، وما مضمون هذه
الاسس ، مضمونها السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي ؟